مجلة الرائد

العدد : ٢٤٠ الموافق في شوال ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/١٢ ميلادي

عنوان المقال : ربيعة قادر..على درب سمية عصرها	الكاتب : عبد الحليم الباز

ما أكثر الشخصيات الإسلامية المرموقة على طول العالم الإسلامي التي نجهلها نحن المسلمين ولا نكاد نسمع عنها شيئاً ، حتى إذا سمعنا عنها فإننا نجهل الكثير عن حقيقتها وعن الدور الكبير الذي تلعبه لخدمة قضية الإسلام والمسلمين . ومما يؤسف له أن هذه الأسماء لا تظهر على الساحة إلا حينما يود الغرب ذلك ، ولا يتحدث عنها إلا حينما يرى أنها الورقة التي يمكن أن يلعب بها لقلب الموازين لصالحه وللضغط على خصومه .

ربيعة قادر هي واحدة من هذه الأسماء الإسلامية المرموقة التي نجهلها والتي أود أن أسلط عليها الضوء في هذا المقال ، فيا ترى من تكون هذه الشخصية ؟

ربيعة قادر .. أم " الإحدى عشرة " وسيدة أعمال :

تبلغ السيدة ربيعة ٥٤ عاماً ، لها من الأبناء - ذكوراً وإناثاً - أحد عشر . زوجها " صديق راضي " كان يعمل أستاذاً في معهد أصول التدريس إلى جانب كونه مدرساً للأدب في إقليم " سينكيانج " الصيني ، وهو كذلك كاتب مرموق له اهتمام بحقوق الأقلية الإيغورية المسلمة . حينما كان طالباً نظم عدة مظاهرات ضد سياسات الحكومة الصينية ، وحُكم عليه بسبب ذلك بالسجن لمدة ١٠ سنوات . وبعد أن أصبح أستاذاً للأدب كتب عدة مقالات ينتقد فيها ما كتبه المؤرخون الصينيون عن المنطقة الإيغورية/تركستان . كما ساهم في إذاعة راديو آسيا الحرة بما أغضب حكومة بكين التي وضعته في القائمة السوداء ؛ الأمر الذي دفعه إلى طلب اللجوء السياسي لدى الولايات المتحدة الأمريكية في أكتوبر ١٩٩٦م .

بقيت السيدة ربيعة وحيدة مع أبنائها ، فاضطرت لتحل محل زوجها لتعول أسرتها وتؤمن لأبنائها حياة مستقرة . بدأت عملها بفتح مكان لغسل وكي الملابس ، ثم تحولت إلى بائعة ورود وبذور دوّار الشمس . نجحت في عملها بصورة مدهشة بحيث أصبحت من الأغنياء الكبار في المنطقة . ولما اتسعت تجارتها اشترت محلاً لها في عاصمة الإقليم " أورومجي " حيث أسست شركتها التجارية ، وكانت نموذجاً للتاجرة المسلمة . توسعت تجارتها أكثر لتشمل الأقاليم الصينية الأخرى ، ثم امتدت بعد ذلك إلى دول آسيا الوسطى ، ثم إيران وأخيراً تركيا .

ذاع اسم ربيعة قادر ، وأصبح معروفاً لدى كل الصينيين ، ولذلك حاولت وسائل الإعلام استغلال هذا النجاح لتوظيفه لمصلحة النظام ؛ محولة القهر والظلم والنفي إلى نجاح سياسات الدولة تجاه القوميات المسلمة .

إغراء وضغط وتهم :

كانت سنة ١٩٩٤م هي السنة التي عرفت فيها السيدة ربيعة أوج نجاحها حيث اختارتها مجلة " فور تشون " الأمريكية من بين الأغنياء العشرة الكبار في الصين ، ومثلت المرأة المسلمة الإيغورية في مؤتمر بكين الشهير في سنة ١٩٩٥م .

وضعت السيدة ربيعة في مأزق من قبل الحكومة الصينية التي كانت قد اختارتها ممثلة الإيغور في مؤتمر الشعب الصيني للاستشارات السياسية بهدف استغلالها ؛ بحيث تراجعت الحكومة المركزية عن اختيارها في أية مهمة رسمية ، ثم سحبت منها جواز السفر كي لا تتوجه إلى أمريكا للاستمرار في أعمالها . لم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل عرض عليها مناصب كبيرة في الدولة مقابل تبرئها من زوجها وانفصالها عنه . وطبعاً لما رفضت هذا الأمر بدأ المؤتمر الشعبي الصيني انتقادها علناً بسبب نشاط زوجها المعارض . وفي شهر آب/اغسطس ١٩٩٩م اعتقلت ربيعة بتهمة " **تسريب أسرار الدولة وتوفير معلومات لمنظمات أجنبية** " لأنها قامت بإرسال صحف محلية إلى زوجها بطلب منه . وبعد توقيف لأكثر من عام حكم عليها بالسجن لمدة ثماني سنوات لـ " **إخراج معلومات إلى خارج الصين بطريقة غير شرعية** " ، كما حكم على ابنها عبد الكريم بثلاث سنوات في معسكر للأعمال الشاقة لدعمه " **الانفصاليين** " .

المال في خدمة المبدأ :

أسست السيدة ربيعة " حركة الألف أم " عام ١٩٩٧م لتوفير فرص العمل للنساء الإيغوريات ، وفتحت مركزاً لتعليم اللغات ومحو الأمية للفتيات ؛ الأمر الذي دفع الحكومة الصينية لاعتقالها وسجنها ، لأنها استطاعت توظيف ثروتها لخدمة نساء قومها ، وبدأ ينظر إليها على أنها شخصية اجتماعية مؤثرة وقيادية بين المسلمات الإيغوريات . هذا الاعتقال أبرز من جديد أوضاع المسلمين في تركستان الشرقية ، بحيث قامت عدة منظمات دولية باستنكار ما حدث لربيعة قادر ، ودعت وزارة الخارجية

الأمريكية الصين لإطلاق سراحها وابنها ، وعرضت عليها الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

وضعت السيدة ربيعة قادر في سجن " باجها " وخارج مدينة أورومجي عاصمة الإقليم ؛ تعيش منعزلة ، منعت من أي اتصال بالخارج بحيث لا تصلها رسائل ولا يزورها أحد خلال العامين الماضيين إلا بعض أفراد عائلتها .

أدرجت السيدة ربيعة ضمن لائحة سجينات الرأي من طرف منظمة العفو الدولية ، لكن هذا الأمر لم يغير شيئاً من الواقع بحيث لا تزال تقبع في السجن وتقضي فترة سجن سياسي لمدة حوالي ١٠ سنوات ، أي حتى سنة ٢٠٠٩م . ولذلك اضطر السيد صديق راضي إلى مخاطبة الرئيس الأمريكي بوش الذي قام بزيارة إلى الصين طالباً منه تبني إطلاق سراحها ؛ إلا أنه لم يأت بأي نتيجة ، بل استخدم هذه القضية كورقة ضغط على الحكومة الصينية لا كدفاع عن مبدأ . وكانت اللجنة الخاصة بمراقبة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة قد اختارت السيدة ربيعة قادر كأحد الفائزين الخمسة بأعلى جوائز حقوق الإنسان الدولية لعام ٢٠٠٢م .

حضور الغرب .. وغياب المسلمين

أثارت الحكومة البريطانية قضية ربيعة قادر خلال زيارة الرئيس الصيني لبريطانيا في تشرين أول/اكتوبر ١٩٩٩م ، ثم خلال زيارة وزير الخارجية الصيني في آذار/مارس ٢٠٠٠م ثم أمام الرئيس الصيني من قبل المبعوثة الخاصة للأمم المتحدة لحقوق الإنسان " ماري روبنسون " في ٢١ تشرين ثاني/نوفمبر ٢٠٠٠م . كما تظاهر التركستانيون في العالم أمام السفارات الصينية للتنديد بانتهاكات حقوق الإنسان في الإقليم الإيغوري . ولعب السيد صديق راضي الدور الكبير في إبراز هذه الشخصية الكبيرة أمام الإعلام الغربي . ولذلك فإن الحكومة الصينية تخاف أن تخسر هذه القضية إعلامياً أمام المجتمع الدولي ، فهي حائرة بين إبقائها سجينة أو إطلاق سراحها مع شرط مغادرة البلاد . إلا أن مسؤولي الحزب الشيوعي قرروا في النهاية سجنها لكي يعطوا درساً لكل من تسول له نفسه أن ينادي بحقوق الإيغوريين ، كما أن اعتقالها جاء تحذيراً للأغنياء الآخرين الذين قد يستخدمون أموالهم من أجل خدمة قضيتهم .

مجلة المرابط

العدد : ٢٤٠ الموافق في شوال ١٤٢٣ هجري ١٢/٢٠٠٢ ميلادي

عنوان المقال : ربيعة قادر..على درب سمية عصرها	الكاتب : عبد الحليم الباز

ربيعة قادر .. على درب أم أيمن

ساءت صحة السيدة ربيعة قادر بسبب الظروف الصعبة والقاسية التي تعيش فيها داخل السجن بحيث تساء معاملتها ولا تتمتع بأدنى الشروط الإنسانية التي تضمنها كافة المواثيق الدولية ؛ ولذلك فإن هناك مخاوف لدى السلطات الصينية من أن يؤدي هذا التدهور في حالتها الصحية إلى وفاتها ، الأمر الذي قد يؤدي إلى تدهور العلاقة بين " الهان الصينيين " و " الإيغور المسلمين " بسبب أحداث دامية محتملة على صعيد الإقليم .

تعرضت السيدة " ربيعة قادر " لكل أنواع الضغوطات والإغراءات لكي تتخلى عن المبدأ الذي آمنت به وعن القضية التي دافعت عنها بالغالي والنفيس ، لكنها لم تتبدل ولم تتغير بل زادها الأمر ثباتاً وإيماناً وجعل منها البطلة الإيغورية المسلمة التي خدمت قومها وبنات قومها . إذا كتب لها أن تعيش حتى انتهاء مدة سجنها فستظل رمز التضحية والشجاعة ، وإن نفيت إلى الخارج فستكون الشرارة التي سوف تدفع الإيغوريين إلى تحركات جديدة وقوية ، أما إذا كتب لها أن تموت فستضاف إلى قائمة الشهيدات المسلمات من أمثال الشهيدة " بنان الطنطاوي " رحمها اللّه التي نفيت وشردت وثبتت على المبدأ الذي بسببه أخرجت من بلادها إلى أن استشهدت على يد الغدر ولقيت ربها لم تتبدل ولم تتغير .

ملاحظة :

(١) مصدر المقال : www.islamonline.net